ورقة بعنوان:

علم النفس من وجهة نظر القرآن الكريم

إعداد:
الدكتور/ ثاني موسى أياغي

محاضر بقسم الدراسات الإسلامية،
جامعة بايرو – كنو.

1429هـ/ 2008م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، هذه ورقة بعنوان: **(علم النفس من وجهة نظر قرآنية)** تهدف إلى إلقاء الضوء على النظرة القرآنية للنفس الإنسانية، ومقارنتها بسائر النظرات المختلفة في علم النفس، ويأمل الباحث أن يسلك في إعداد الورقة المنهج التحليلي المقارن، كي يرى ما تتميز به النظرة القرآنية عن غيرها؛ لأنه بضدها تتميز الأشياء، وتحتوي الورقة على تمهيد ومبحثين كالآتي:

التمهيد: وفيه النظرة العامة لإسلامية المعرفة.

المبحث الأول: تعريف علم النفس وبيان نشأته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علم النفس في المفهوم الغربي ونشأته.

المطلب الثاني: القرآن وعلم النفس.

المبحث الثاني: أصناف الناس في الكتابة في علم النفس:

1. النظرة الغربية الخالصة للنفس الإنسانية والمنساقون وراءها من المسلمين وذكر نموذج لها.
2. صياغة النظرة الغربية لعلم النفس بالصيغة الإسلامية، وبيان نموذج ذلك.
3. النظرة المتأصلة للنفس الإنسانية من خلال القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية، والتمثيل لها.
4. بعض الآيات القرآنية المتحدثة عن النفس الإنسانية.
5. الخاتمة.

التمهيد:
وفيه النظرة العامة لإسلامية المعرفة.

على الرغم من التخلف والضعف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية، وعلى الرغم من الضغوطات والمكائد ضد المسلمين في عالمنا اليوم، إلا أنه لا تزال المعارف والحقائق الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وذلك لأنها صادرة من خالق الكون، ومدبر الأمر الذي لا تخفى عليه خافية. فإن كان العالم الإسلامي متخلفا في هذه العلوم فلا يعني هذا أن المعارف الإسلامية متخلفة، كلا، فإنها في غاية الصلاحية والتطور، بل طرأ ذلك التغير على الأمة الإسلامية، لما تغيرت الحياة الإسلامية عندهم، وذلك كما قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد: 11]. ولما ضعف العالم الإسلامي عن الإنتاج، وتغير وضعه الذي عُرف به، نشأت معظم العلوم الإنسانية في مناخ التبشير والاستعمار، وجاءت استجابة لحاجات مؤسسات التنصير، ومراكز صنع القرارات، وتطورت فيما بعد لحاجات التجارة والتسويق والتحكم الثقافي. [1]

ومنذ أن أخذ المنصرون والمبشرون في ابتكار العلوم والمعارف بالصبغة المادية البحتة، وأخذوا يزودون العالم بالإنتاج والإبداع، شرع جم غفير من المسلمين في إعادة صياغة تلك العلوم صياغة إسلامية. فنتج من ذلك ما يسمى بإسلامية المعرفة، أو أسلمة العلوم، وهو مصطلح من هذه الناحية يعني: "الفحص في قضايا ومفاهيم العلوم الإنسانية والكونية بعد الإطلاع على ما يقابلها في المنظور الإسلامي، والعمل على إعادة صياغة هذه القضايا والمفاهيم في محاور تتفق مع النظرة الإسلامية"[2]. ولا شك أن هذا أمر ذو أهمية بالغة، إلا أنه بهذا المفهوم له إيجابيات وسلبيات،

فمن إيجابياته:

1. بذل الجهد في إعادة الحياة الإسلامية مهما طال الأمد للمسلمين عن تطبيق الشريعة الإسلامية.

---

[1] - منصور زويد المطيري، الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع – الدواعي والإمكان، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، ط1، 1413هـ، ص: 14.

[2] - مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد: 20، 2005م، الدكتور أحمد شيخ عبد السلام.

2. الاستفادة من مفاهيم الغير، والتثقف بالثقافات الأخرى ما لم تخالف تعاليم الإسلام؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذها.
3. إظهار مرونة الشريعة الإسلامية، في مجالات من الحياة شتى.

ومن سلبيات هذا المصطلح – بهذا المفهوم – ما يلي:

1. الانسياق وراء الغرب والنهل من معينهم، واتباعهم حذو القذة بالقذة.
2. الضعف الواضح الذي طرأ من المسلمين؛ فهم لا يبدعون ولا يبتكرون، فإذا ابتكر الغير أو أبدع أخذوا يقولون عندنا هذا وعندنا هذا، فلو أنهم أظهروا ما عندهم من أول وهلة لكان خيرا وأحسن تأويلا.
3. إن محاولة هذه الصياغة توحي بأن في القرآن الكريم نظريات نفسية وطبيعية وكيميائية وطبية وفلكية... وأن وراء كل كشف واختراع جديد آية قرآنية أشارت إليه أو تنبأت به، والقرآن غني عن ذلك كله... إنه كتاب تربية وتوجيه وإرشاد أولا وقبل كل شيء، (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) [الجمعة: 2].

فالأحسن والأولى من كل ذلك أن يبتكر المسلمون تلك العلوم على ضوء تعاليم دينهم الحنيف، ويظهروها للعالم على صورتها الإسلامية المشرقة، فيكونون هم المتبوعون لا التابعون؛ لأن تعاليم دينهم الحنيف علمتهم طرق البحث ومناهجه التجريبية منها وغيرها، وقد مارس سلفهم الصالح استخدام تلك المناهج، ففي عصر ازدهار الثقافة الإسلامية انشغل المسلمون بوظائف العلوم الإنسانية، وأدركوا أهميتها من خلال تعاليم النبوة، فصارت أوربا تلامذتهم في هذا الأمر.

وأسلمة العلوم بهذا المفهوم – أي أن يكون المسلمون هم المبتكرون المبدعون لأول وهلة – من الممكن تعريفه بأنه "ممارسة

النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان". [1]

ومن الممكن القول بأن علم النفس وغيره من العلوم الإنسانية التي تأصلت وتبلورت وامتدت على يد الآخرين بعد توقف العقل المسلم، إنما صُبّت في العالم الإسلامي من الخارج، وهي وليدة حضارة وثقافة لها تاريخها، وفلسفتها، وخصائصها، وعمرها الفكري، ووليدة لمجتمعات لها أزماتها، ومشكلاتها، وتحولاتها النفسية والاجتماعية، ونسقها المعرفي.

والسؤال المطروح: هل تعتبر المعايير والمفاهيم التي طرحتها الحضارة الغربية، ولا سيما في علم النفس، مفاهيم علمية حقا؟ ذلك أن وصف العلمية يفترض أن تكون هذه المفاهيم والمعايير عامة وعالمية، كما هو الحال في ميدان العلوم الطبيعية، ومن ثم هل يكون بالإمكان تطبيقها على كل المجتمعات؟ وهل يمكن الادعاء بأن المناهج والتقنيات المختلفة، وأدوات التحليل التي جاءت ثمرة لعلم النفس الغربي، هي فعلا أدوات موضوعية ودقيقة، تساعد على دراسة النفس الإنسانية؟ [2]

فهذه التساؤلات وأمثالها هي التي ينبغي أن يقتحم الباحثون الساحة في علم النفس، ليتسنى لهم إظهار علم النفس الإسلامي الخالص من شوائب الغرب الذي لا علم له بحقيقة الوجود، فإن طُبّق في الإجابة عن هذه التساؤلات وأمثالها المنهج المعرفي الإسلامي الجامع بين المادة والروح يكون من وراء ذلك خير كثير، وفائدة جزيلة للأمة الإسلامية خاصة، وللعالم قاطبة. والله وراء القصد.

---

[1] - مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد: 20، 2005م، الدكتور أحمد شيخ عبد السلام.

[2] - منصور زويد المطيري، مرجع سابق، ص: 15 – 16.

المبحث الأول: علم النفس مفهومه في القرآن وعند الغرب.

الكلام في هذا المبحث يبدأ بمفهوم علم النفس عند الغرب، وإن كان العنوان يدل على تأخيره، لكن لأجل التسلسل المنطقي، وللتعقيب عليه بالمفهوم الإسلامي قُدّم؛ لأنه من المستحسن الوقوف على آراء الغربيين الذين يزعمون أنهم المخترعون لعلم النفس، ثم إيراد المفهوم الإسلامي لتتضح أمامنا الرؤية الكاملة.

المطلب الأول: مفهوم علم النفس عند الغرب:

علم النفس بالمفهوم الغربي: "هو العلم الذي يدرس سلوك الإنسان، أي يصف هذا السلوك ويحاول تفسيره... والسلوك هو كل ما يصدر عن الفرد من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه إزاء مشكلة يحلها، أو خطر يتهدده، أو قرار يتخذه، أو مشروع يخطط له، أو درس يحفظه، أو مقالة يكتبها، أو آلة يصحبها، أو مسابقة يعمل على الفوز فيها، أو لوحة فنية يتأملها، أو أزمة نفسية يكابدها".[1]

نشأة علم النفس الغربي وتطوره:

كان علم النفس في البداية، من ضمن علوم الفلسفة، كسائر العلوم التي تترعرع مع علم ما ثم تتفرع عنه بعدُ، ففي أبحاث الفلاسفة القدامى تلميحات لبعض موضوعات علم النفس، كما يوجد في مؤلفات الفلاسفة المسلمين أمثال هذه التلميحات، كابن سينا والغزالي والفارابي وغيرهم.

ثم بدأ هذا العلم يتطور شيئا فشيئا نتيجة التجارب والأبحاث الكبرى في علم النفس مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، على يد عالم التشريح الألماني فبر Weber وعالم الطبيعة هلمهولتز Helmholtz وداروِن Darwin الذي نشر دراساته حول تطور السلوك. ومن ثم تلت هذه التجارب ملاحظات ونظريات طبيب الأمراض العقلية سيجمند فرويد Sigmand Frued التي أدت إلى تطور ملموس في

---

[1] - أحمد عزت راجح (الدكتور)، أستاذ علم النفس بجامعة الإسكندرية: أصول علم النفس، الطبعة التاسعة، بدون ت.

سيكولوجية الفروق الفردية، وأنشأ نظرية التحليل النفسي، وطرق العلاج النفسي.[1]

تعقيب على المفهوم الغربي لعلم النفس:

إن علم النفس بالمفهوم الغربي لا يدرس نفس الإنسان كما يمكن أن يفهم من "علم النفس" بل إنه يدرس الإنسان ككل، ويدرس ظواهر نفسه لا النفس بذاتها، لأن العالم الغربي إلى الآن لم يصل إلى معرفة حقيقة النفس الإنسانية، ولا جوهرها، ولم يعرف كيفية التعامل معها، ولا كيفية حمايتها من الخلل، ولا كيفية علاجها منه إن أصابها؛ لذا لم يتمكن الغربيون من معالجة النفس، حيث إنها لا زالت غامضة وغير معروفة لهم، على العكس من باقي أعضاء الجسم البشري، فقد استطاعوا تشريح جسد الإنسان بمساعدة الأجهزة الحديثة من مناظير ومجاهر وغيرها، وعرفوا الكثير من دقائق أسرار جسد هذا الإنسان وأعضائه.[2]

المطلب الثاني: القرآن وعلم النفس:

لم تكن في القرآن الكريم نظرية نفسية مخططة مبوبة ذات فصول؛ لأنه ليس من شأن القرآن أن يضع نظريات من هذا القبيل، ولكن مع ما ذلك فيه معلومات كثيرة وشاملة عن النفس الإنسانية أكثر مما فيه عن أي علم آخر، لأن مهمته الأولى هي التربية والتوجيه، فهو كتاب يخاطب النفس ويوجهها.[3]

وقد حاول الباحثون المسلمون إلقاء الضوء على علم النفس الإسلامي ومفهومه في إشارات عابرة من بحوثهم، من ذلك قول محمد قطب – وهو يتحدث عن علم النفس بمفهومه الإسلامي: هو – "النظرة الشاملة، والمعرفة الكاملة لمكونات النفس الإنسانية بقدر الطاقة البشرية، ليعرف الإنسان بعد ذلك كيف تكون في صحتها

---

[1] - رجاء محمود أبو أعلام (الدكتور) وآخرون، علم النفس، مبادئه وتطبيقاته، ط3، 1416هـ - 1996م، وزارة التربية، الكويت، ص: 17 – 18.

[2] - عبد الوهاب داود الحزامى، النفس في القرآن الكريم، رؤية في منهجية التفسير، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1427هـ/ 2007م، ص: 97 – 99.

[3] - محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، 1415هـ/ 1995م، ص: 9.

ومرضـها، واسـتوائها وانحرافهـا، والإفـادة مـن هـذه المعرفـة فـي معالجة هذه النفس على أساس سليم".[1]

وقول عبد الوهاب داود الحزامـي: علـم الـنفس الإسـلامي هـو "توضيح صورة مبسطة لماهية النفس الإنسانية، وكيفية وجودها في هذا الجسد، ووضع المنهجية الكاملة الواضحة لكيفية التعامل معهـا، وكيفية اتقاء شرها، وكبح جماحها إن هي تمـردت، وكيفيـة الطريـق لإصلاحها إن هي فسدت".[2]

وعلى ضوء ما سبق يمكن تعريـف علـم الـنفس القرآنـي بأنـه: "جميـع العلـوم والمعـارف التـي يمكـن ملاحظتهـا واسـتنباطها واستخلاصـها مـن آي القـرآن الحكـيم بخصـوص الـنفس الإنسـانية، سواء كانت تلك المعارف تمس جوهرها أو عرضها، أو تتحدث عن عجائـب صـنع الله فيهـا، أو تتنـاول جوانـب سـلبياتها أو جوانـب إيجابياتها، أو ما إلى ذلك".

وقد بدأت نشأة علم النفس بـالمفهوم القرآنـي منـذ بدايـة نـزول القرآن، وتلقى الصحابة الكرام التوجيهات النفسية من القـرآن بقبـول حسن، وكذلك تلقى المسلمون تلك التعليمات جيلا بعد جيـل، وأثـرت في نفوسهم أيما تأثير.

المبحث الثاني: أصناف الناس في الكتابة في علم النفس:

انقسم الناس في الكتابة في علم النفس إلى أقسام ثلاثة رئيسة:

1. قسم يكتب عن سلوك الإنسان ويصـف هـذا السـلوك، ويحـاول تفسيره على ضوء معرفة الإنسان القاصرة عن حقيقـة الـنفس البشرية، وفيه النظرة الغربية الخالصـة للـنفس الإنسـانية وقـد انساق وراءهـا مجموعـة مـن الكتـاب المسـلمين. وهـذا القسـم يمثلـه علمـاء الـنفس الغربيـون أمثـال: فبـر Weber وهلمهـولتز Helmholtz وداروين Darwin وسيجمندفرويد Sigmand Frued، ومـن حذا حـذوهم وتـأثر بهـم مـن الكتـاب المسـلمين أمثـال: دكتـور

[1] - المرجع نفسه، ص: 11.

[2] - عبد الوهاب داود الحزامى، مرجع سابق، ص: 101.

مصطفى فهمي،[1] ودكتور أحمد عزت راجح،[2] وعبد المنعم حفني،[3] وأسعد رزوق،[4] ونعيم الرفاعي،[5] وكامل محمد عويضة.[6] فهؤلاء الكتاب تأثروا في مؤلفاتهم بالنظرة الغربية للنفس الإنسانية، لكأنهم لم يخطر ببالهم أن في التراث الإسلامي وتعاليمه ثروة ضخمة تناولت ماهية النفس الإنسانية وحقيقتها، وكشفت كل الغموض عما يتعلق بها.

2. قسم يكتب عن سلوك الإنسان، ويصف هذا السلوك، ويحاول تفسيره على ضوء تعاليم الإسلام، ومن خلال التحليل يجتهد في ذكر ماهية النفس الإنسانية مستعينا بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، فهو صياغة النظرة الغربية لعلم النفس بالصيغة الإسلامية. وهذا القسم يمثله الكتاب المسلمون الذين درسوا علم النفس الغربي، وحاولوا إعادة صياغته على ضوء تعاليم الإسلام ومفاهيمه، أمثال: دكتور عثمان نجاتي،[7] والدكتور عدنان الشريف،[8] والدكتورة: هناء يحيى أبو شهبة،[9] وحسن الشرقاوي،[10] وكذلك كل من عبد المؤمن محمد بيومي، وطه محمد أحمد البنا.[11] والملاحظ أن هؤلاء الكتاب حاولوا جاهدين أن يصبغوا علم النفس الغربي بالصبغة الإسلامية في

---

[1] - من مؤلفاته: الصحة النفسية، دراسات في سيكولوجية التكيف، القاهرة، مكتبة الخانجي، وعلم النفس الإكلينيكي، مكتبة مصر، وغير ذلك.

[2] - من مؤلفاته: أصول علم النفس، وترجمة علم النفس التطبيقي لهنري قالون، مكتبة مصر. وعلم النفس الجنائي، وعلم النفس الصناعي، وغيرها.

[3] - من مؤلفاته: موسوعة الطب النفسي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1995م، وغير ذلك.

[4] - من مؤلفاته: موسوعة علم النفس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1979م، وغير ذلك.

[5] - من مؤلفاته: الصحة النفسية دراسة في سيكولوجية التكيف، جامعة دمشق، ط7، 1987م، وغيرها.

[6] - من مؤلفاته: الصحة في منظور علم النفس، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ، 1996م، وغير ذلك.

[7] - من مؤلفاته: القرآن وعلم النفس، ط: دار الشروق، القاهرة، 1421هـ/ 2001م، الحديث النبوي وعلم النفس، ط: دار الشروق، القاهرة، 1993م، وغيرهما.

[8] - من مؤلفاته: من علم النفس القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، 1995م.

[9] - من مؤلفاتها: الإسلام وتأصيل علم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.

[10] - من مؤلفاته: في الطب النفسي النبوي، إسكندرية، دار المطبوعات الجديدة، وغير ذلك،

[11] - من مؤلفاتهما: علم النفس للمدارس الثانوية، الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة العربية السعودية، 1411هـ/ 1990م.

مؤلفاتهم، لكأنهم في صنيعهم هذا مقتنعون بمصطلح إسلامية المعرفة القائل بأنها: "الفحص في قضايا ومفاهيم العلوم الإنسانية والكونية بعد الإطلاع على ما يقابلها في المنظور الإسلامي، والعمل على إعادة صياغة هذه القضايا والمفاهيم في محاور تتفق مع النظرة الإسلامية"[1]، ولا شك أن محاولاتهم في مؤلفاتهم تلك تستحق الشكر والعرفان.

3. قسم يكتب عن ماهية النفس البشرية ويحاول جاهدا إلى النظرة الشاملة، والمعرفة الكاملة لمكوّنات النفس الإنسانية بقدر طاقته البشرية، وتحليلها على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، من غير أن يتأثر بالغربيين والمنساقين وراءهم، ففي ذلك النظرة المتأصلة للنفس الإنسانية من خلال القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية الحنيفة. ويمثل هذا القسم الكتاب المسلمون القدامى والمحدثون الذين يحاولون تفسير النفس الإنسانية على ضوء الإسلام ومصادره الأصلية فحسب، أمثال الإمام أبي حامد الغزالي،[2] وابن سينا، والفارابي، وابن القيم،[3] وأبرز من يمثل هذا القسم من المعاصرين الذين ساهموا في النهضة الحديثة، هو محمد قطب،[4] وأخوه سيد قطب،[5] والدكتور: رشاد علي عبد العزيز موسى،[6] وعبد الوهاب داود الحزامي،[7] ومحمد محمود عبد الله،[8] وغيرهم، ولا شك أن في صنيع هؤلاء الأعلام تأييدا للتفسير الذي يرى أن إسلامية المعرفة هي: "ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور

---

[1] - مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد: 20، 2005م، الدكتور أحمد شيخ عبد السلام.

[2] - وخاصة في كتابه: إحياء علوم الدين.

[3] - وخاصة في كتابه: الروح، ومدارج السالكين.

[4] - وله عدة مؤلفات في ذلك، منها: في النفس والمجتمع، والإنسان بين المادية والإسلام، وأهم كتبه في هذا المجال هو: دراسات في النفس الإنسانية،

[5] - لديه إشارات نفسية لطيفة في هذا المجال في تفسيره ظلال القرآن، ولو جمعت في بحث مستقل لكان وراء ذلك فائدة كثيرة.

[6] - من مؤلفاته: أساليب العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، مؤسسة المختار، القاهرة، 2001م، وعلم النفس الديني، دار المعرفة، مصر، 1996م، وغير ذلك.

[7] - من مساهماته: النفس في القرآن الكريم، رؤية في منهجية التفسير.

[8] - من مؤلفاته: النفس والروح في القرآن، دار الصابوني، القاهرة، 1425هـ/ 2004م.

الإسلامي للكون والحياة والإنسان". [1] وهذا القسم هو أفضل الأقسام وأولاها بإسلامية المعرفة أو أسلمة العلوم.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لأصحاب القسم الثاني من نفائس البحوث ما هو في الحقيقة في القسم الثالث. كما أن الباحثين المسلمين الوارد ذكرهم في قائمة القسم الأول قد حرروا كثيرا من آراء الغربيين وانتقدوها انتقادا واضحا، ما يجعلنا نعدهم من أصحاب القسم الثاني. كما أنه من ضمن علماء النفس الغربيين المنصفين من أكّد ضرورية الإيمان ودوره في حياة الإنسان عامة، وفي الصحة النفسية خاصة، أمثال: وليم جيمس William James وكارل يونج Carl G. Jung وأ. أ. بريل A.A. Brill وهنري لنك Henry Link، وأرنولد توبيني A. Toynbee وغيرهم.

ولتتضح الرؤية أكثر، من المستحسن إيراد نموذج لكل قسم؛ لأن الأمثال من شأنها توضيح المشكل، وتفصيل المجمل، وفيما يلي مثال لكل قسم في كيفية تصوره للنفس الإنسانية.

نموذج للنظرة الغربية الخالصة للنفس الإنسانية.

يمكن التمثيل لهم بمصطلح الصحة النفسية: وكان أول ظهور هذا المصطلح عند علماء النفس الغربيين بعد انتهاء الحربين العالميتين اللتين تمخضت في أعقابهما هزات اقتصادية عنيفة، واضطرابات في العلاقات السياسية، وشيوع القلق والحيرة والارتياب والارتباك بين الناس، [2] واستفحال التوتر النفسي في المجتمعات، فأخذوا يبحثون عن الحل، فكان من ضمن الحلول التي قدمها لهم النفسانيون منهم ما يلي:

1. جلسات التحدث الجماعي، والتي يجلس فيها جماعة من الأفراد كل يتكلم عن مشكلته للآخرين حتى يخفف من الضغط النفسي والتوتر الذي يعيش فيه، ويشعر بمواساة الآخرين له.
2. اللجوء إلى العمل العضلي المجهد للإنسان، وهو ما جعلوا الرقص والموسيقى الصاخبة جزءا منه.

---

[1] - مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد: 20، 2005م، الدكتور أحمد شيخ عبد السلام.

[2] - أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، الطبعة التاسعة، ص: 502.

3. محاولة التخلص من الإلزامات الدينية – على حد زعمهم – وتحليل الإباحية الجنسية، والعلمانية في التفكير.[1]

فأصبح المعيار لديهم في الصحة النفسية، أن الإنسان إذا كان في قلق بإمكانه أن يفعل كل ما بدا له، ويتعاطى المخدرات، ويزني ويفعل كل ما تشتهيه نفسه، ليتخلص مما يقلقه، ويرتاح من ألم مصابه. فكانت النتيجة البؤس والحرمان، والتعاسة والخذلان، فبدلا من أن يحصلوا على الصحة النفسية زاد الأمر تعقيدا؛ لأنهم لم يهتدوا إلى الطب النفسي الحقيقي، ولا الصحة النفسية المرجوة، اللذان لا سبيل إليهما إلا بوساطة علم النفس القرآني الذي حُرموا منه، فكثر الويل والشقاء والانتحار في مجتمعاتهم، وصدق الله القائل: [وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً] [الإسراء: 82]، والقائل [قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِيۤ آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى] [فصلت: 44].

نموذج لصياغة النظرة الغربية لعلم النفس بالصيغة الإسلامية.

كثرت محاولات أصحاب هذه النظرية إلى تقسيم علم النفس القرآني إلى نفس الأقسام التي قسّمها علماء النفس الغربي، أي علم النفس النظري، وعلم النفس التطبيقي، وعلم النفس ذو الجانبين النظري والتطبيقي معا، وحاولوا إيراد أمثلة إما من القرآن أو من الحديث عند كل موضوع من موضوعات علم النفس، وعند كل جزئية من جزئياته، ولا شك أن في هذا تكلّفا؛ لأن القرآن –كما سبق – لم ينزل لتدعيم نظرية نفسية مخططة مبوبة ذات فصول؛ لأنه ليس من شأنه أن يضع نظريات من هذا القبيل، وإنما هو كتاب هدى وذكرى وموعظة لقوم يؤمنون.

وأوضح مثال لذلك تقسيم صفات النفس إلى ثلاثة أقسام وهي:

1. النفس الأمارة بالسوء: وهي التي تأمر بكل سوء ولا تتحكم في أهوائها وشهواتها فتنساق وراء إشباعها، وذلك لقوله تعالى:

[1] - عبد الوهاب داود الحزامي، مرجع سابق، ص: 98.

[وَما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي] [يوسف: 53].

2. النفس اللوامة: وهي التي تلوم صاحبها على الذنب وتضعف انقياده لأهوائه وشهواته، وذلك لقوله تعالى: [لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة] [القيامة: 1 – 2].
3. النفس المطمئنة: وهي التي تتحقق للتوازن بين المطالب البدنية والمطالب الروحية، وذلك لقوله تعالى: [يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي] [الفجر: 27 – 30].

ثم قالوا بعد هذا التقسيم: قد جاء فرويد بنظرية ميز فيها الشخصية إلى ثلاثة أقسام تتشابه في بعض وظائفها بمفاهيم النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة الواردة في القرآن، حيث ذهب فرويد إلى أن النفس ثلاثة أقسام هي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى.

- فالهو Id: عند فرويد هو الجزء اللاشعوري الذي تنشأ فيه النزعات الغريزية والرغبات المحظورة، ويتكون من كل ما هو موروث وموجود سيكولوجيا من الولادة بما في ذلك الميول الفطرية.
- أما الأنا Ego: فهو الجزء السطحي من الهو الذي تعدل بتأثير الخبرة وهو الجهاز الإداري للشخصية، فهو يتحكم في الهو، ويسيطر على منافذ العقل والسلوك، ويختار من البيئية الجوانب والكيفية التي يستجيب لها، ويقرر أي الغرائز التي سوف تشبع والكيفية التي يتم ذلك الإشباع، ودوره الأساسي هو التوسط بين المطالب الغريزية للكائن الحي، وظروف البيئة المحيطة به.
- وأما الأنا الأعلى Super Ego: فهو نوع من الضمير البدائي اللاشعوري إلى حد بعيد، يتكون خلال تقبل الطفل المثل العليا للوالدين والمدرسين والكبار في حياته، فهو يتقمص شخصية الراشدين الذين يدربونه، وبذلك يناقض ويعارض الهو، كما

يعارض أيضا الأنا حينما يتفق مع الهو، فالأنا الأعلى يمثل ما هو مثالي، أما الأنا فيمثل ما هو واقعي.[1]

قالوا: ومن ذلك يبدو أن الهو يشبه النفس الأمارة بالسوء، والأنا يشبه النفس المطمئنة، والأنا الأعلى يشبه النفس اللوامة.[2]

قلت: إنه لا داعي إلى كل هذا التكلف في جعل تقسيمات النفس مساوية وشبيهة بما قسم به فرويد؛ لأن فرويد هذا لم يكن مؤمنا بالقرآن، وأغلب نظرياته النفسية تخالف مبادئ الدين الإسلامي، فلا داعي لإيراد أفكاره على أنها حقيقة مسلمة ويلتمس من القرآن ما يوافقها أو يشابهها, فكان ينبغي لأصحاب هذا القسم أن يكتفوا بإيراد ما في القرآن من غير تلمّس شبيه لها مِن كل مَن حبّ ودب.

نموذج للنظرة المتأصلة للنفس الإنسانية من خلال القرآن الكريم.

تعتبر القيم العليا ومكارم الأخلاق أهم المرتكزات التي ارتكز عليها علم النفس القرآني، وعلى أساسها يبني أصحاب النظرة المتأصلة لعلم النفس من القرآن استنباطاتهم وأفكارهم، فقد وردت جميع التوجيهات والإرشادات القرآنية بخصوص النفس الإنسانية مرتبطة كل الارتباط بالقيم والأخلاق، ويمكن – على سبيل المثال لا الحصر – التمثيل لذلك بالنصوص الآتية.

-قال تعالى: [ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم] [فصلت: 34].

-وقال: [قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون] [المائدة: 100].

فالآيتان تبينان لنا أن الحسنة والطيب اللذين من ضمنهما القيم العليا ومكارم الأخلاق، لا يستويان مع السيئة والخبيث اللذين من ضمنهما مفاسد الأخلاق ورذائل الصفات.

---

[1] - هناء يحيى أبو شهبة (الدكتورة): الإسلام وتأصيل علم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص: 182 – 183.

[2] - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

وإذا نظرنا إلى العلاج النفسي أو الصحة النفسية التي يدعو إليها علماء التحليل النفسي، نجد أن القرآن الكريم قدّم – من ضمن توجيهاته وإرشاداته – الحلول الناجحة لجميع المشكلات النفسية، والقرآن الكريم إنما قدّم هذه الحلول من خلال الدعوة إلى القيم العليا والأخلاق الفاضلة، قال تعالى: [فأما من طغى، وآثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى] [النازعات: 37 – 41]، وقال أيضا: [ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها] [الشمس: 7 – 10]، فأخبر سبحانه أن الفجور والتقوى صفتان مجبولتان في نفس كل إنسان، وأن السعيد المفلح الذي تتحقق فيه الصحة النفسية، ويعالج كل مرض نفسي، هو الذي يُزكّي نفسه بالأخلاق الزكية والقيم العليا، ويضبطها عن الهوى والرذائل والمعاصي.

وأخبر أيضا في آية أخرى أن من التزم هذه القيم، وتخلّق بهذه الأخلاق التي تتمثل في الإيمان والعمل الصالح، فإنه سيحا حياة طيبة في هذه الحياة الدنيا، ويفوز بأحسن الجزاء في الدار الآخرة، فقال: [من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون] [النحل: 97]، والحياة الطيبة هي الخالية من الخوف والحزن والتوتر العصبي، والقلق واليأس والإحباط. فأيّ علاج نفسي يساوي هذا العلاج الرباني؟ وأيّ سعادة أو نعمة توازيه؟

هذا، ومع هذه الحقيقة القرآنية التي انطبع عليها كل النفوس البشرية، إلا أنه وُجد في الآونة الأخيرة عالِم تُنسب إليه ريادة مدرسة التحليل النفسي يدعو إلى نظرية في علم النفس تُحطّم الحواجز الأخلاقية، وتعارض القيم الدينية، وتنشر الإباحية، باسم النظرية العلمية للصحة النفسية، وتشجع على التحلل باسم التحرر، وهذا العالم هو سيجمند فرويد الذي يرى أن الطاقة الجنسية هي محور الطاقة الحيوية، وعلى أساس ذلك افترى نظرية أوديب ونظرية إليكترا، تفيد النظرية الأولى أن كل طفل ذكر يولد، يحس

نحو أمه بعشق جنسي، ثم يجد أباه حائلا، فيكبت شهوته الجنسية نحو أمه، وتنشأ عقدة أوديب، بينما تفيد النظرية الثانية أن الطفلة الأنثى تصاب بعقدة إليكترا (عشق الأب)؛ لأنها تريد أن تأخذ مكان أمها من أبيها، ولكنها تجد الأم حائلا، فتكبت هذا العشق، وتكره الأم، وعلى هاتينك النظريتين أنفق حياته العلمية كلها، يقول: إن الكبت عملية ضارة مدمرة لكيان الإنسان،[1] وعليه فالسبيل الوحيد للصحة النفسية أو العلاج النفسي هو التحلل والإباحية ونبذ القيم جانبا، كل ذلك بدعوى النظريات العلمية.[2]

وللرد على هذا الزعم الفاسد، يقول محمد قطب: إن القيم العليا جزء من كيان الإنسان الداخلي، ليست مفروضة عليه من خارج نفسه، ولا تملك قوة أن تفرضها فرضا على النفوس، إنها انبثاق ذاتي من كيان الإنسان... وأن حجر الدوافع الفطرية هو الذي يساعد على تنمية القيم العليا، فحجزها أو ضبطها ليس كبتا، كما يزعم فرويد، وعليه فالجنس لا يكون شهوة بحتة، إنما يكون رغبة تحفّها الضوابط من كل مكان، ضوابط السلوك والآداب التي تمنع الفوضى الجنسية في المجتمع، وتمنع ممارسة الجنس – حتى في النطاق المشروع – على طريقة البهائم: دفعة جسدية بلا مشاعر ولا عواطف ولا وجدان، [ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة] [الروم: 21]... أفكان فرويد يريد أن يحرم الإنسان من صمام الأمن؟ أو كان يريد أن يكون النمو الحر حتى يدمر كيان الإنسان كله ويتلفه؛ لأنه لا يعرف حد الاكتفاء؟ إن الله في عليائه قد أراد للبشرية الخير، حيثما أراد فرويد لها الدمار! أراد الله أن يرفع مستواها وفي الوقت ذاته لا يحرمها من المتاع، فالمتاع الطيب كله مباح: [قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق] [الأعراف: 32]، الطيبات من كل شيء: من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ومن

---

[1] - محمد قطب، مرجع سابق، ص: 246 – 249.

[2] - تبين فيما بعد أن فرويد بنظريته هذه لم يقصد خدمة للعلم والمعرفة، وإنما كان استغلالا مقصودا لنظريته بتخطيط يهودي من أجل إفساد البشرية، انظر: محمد قطب: الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1415هـ/ 1995م، ص: 26.

الجنس.[1] إن حقيقة ما يدعو إليه فرويد هو دمار البشرية بدعوى النظرية العلمية، فالشهوة العنيفة التي يريدها للبشرية عرضة لأن تهدم الحواجز الضعيفة، وتغرق القيم العليا، وتردمها في الأوحال، وعند ذلك ينشأ الشر في حياة الإنسان، فأنى له ذلك، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

بعض الآيات القرآنية المتحدثة عن النفس الإنسانية.

وردت لفظة: نفس بالتعريف والتنكير، والجمع والإفراد، وبالإضافة إلى الضمائر المختلفة، وخالية عن الإضافة، مجموع ذلك ورد في 295 موضعا في القرآن الكريم.[2]

ووردت بمعان مختلفة من ذلك ما يأتي:

1/ النفس بمعنى ذات الشيء وحقيقته، ونفس الإنسان من هذا: جملة من الجسم والروح، وترادف في هذا المعنى ذاته، وذلك كما في قوله تعالى: [وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله] [التوبة: 41].

2/ النفس: الروح التي بها الحياة، وإذا زايلت الجسم نزل به الموت، وهي باقية ما بقي في الحي نفس، كما في قوله تعالى: [كل نفس ذائقة الموت] [آل عمران: 185].

3/ النفس تقع موقع القلب والضمير يكون فيه السر الخفي، وذلك كقوله تعالى: [يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتبي] [الفجر: 27 – 30].

4/ النفس: معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعاله من الخير والشر، كما في قوله تعالى: [ونفس وما سوّاها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها] [الشمس: 7 – 10].

5/ والنفس: معنى في الإنسان به التمييز والإدراك والإحساس لما يحيط به، وهذا المعنى يفارقه في النوم وحيث يغيب وعيه،[3] كما في قوله تعالى: [الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها

---

[1] - محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، مرجع سابق، ص: 270.

[2] - محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط4، 1414هـ/ 1994م، ص: 881 – 885.

[3] - معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، القاهرة، بدون ط و ت، ج2، ص: 549 – 550.

فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى] [الزمر: 43].
وأبرز الآيات القرآنية دلالة على العناية بالنفس الإنسانية، وحثا على التأمل والبحث في عجائبها قوله تعالى: [وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون] [الذاريات: 20 – 21]، وقوله: [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم...] [فصلت: 53].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ومن خلال هذه الجولة القصيرة يتبين لنا أن القرآن الكريم كتاب هدى وتوجيه للبشرية جمعاء، وأن تعاليمه صالحة لكل زمان ومكان، وأنه قد احتوى بين دفتين كل العلوم التي يحتاج إليها البشر، مصداقا لقوله تعالى: [ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين] [النحلك 89]، وعلى ضوء ما ورد في البحث يمكن استنباط النتائج الآتية:

1. أن النظرة القرآنية للنفس البشرية تختلف عن سائر النظرات، فالقرآن يعتني بالجانب الروح والمادي معا للنفس البشرية.
2. هناك نظرات مختلفة للنفس البشرية، من ضمنها: 1/ النظرة الغربية الخالصة، 2/ صياغة النظرة الغربية بالصيغة الإسلامية، 3/ النظرة المتأصلة للنفس البشرية من خلال القرآن الكريم، وأحسن هذه النظرات وأشملها هي هذه النظرة الأخيرة لشموليتها وقداسة مصدرها.
3. أن القرآن الكريم كتاب معجز، وإعجازه باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المراجع:

- **القرآن الكريم.**
- أحمد عزت راجح (الدكتور)، أستاذ علم النفس بجامعة الإسكندرية: **أصول علم النفس،** الطبعة التاسعة، بدون ت.
- رجاء محمود أبو أعلام (الدكتور) وآخرون، **علم النفس، مبادئه وتطبيقاته،** ط3، 1416هـ - 1996م، وزارة التربية، الكويت.
- عبد الوهاب داود الحزامى، **النفس في القرآن الكريم، رؤية في منهجية التفسير،** دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1427هـ/ 2007م.
- **مجلة كلية الدعوة الإسلامية،** العدد: 20، 2005م.
- محمد فؤاد عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،** بيروت، لبنان، دار المعرفة، ط4، 1414هـ/ 1994م.
- محمد قطب: **الإنسان بين المادية والإسلام،** دار الشروق، القاهرة، 1415هـ/ 1995م.
- محمد قطب، **دراسات في النفس الإنسانية،** دار الشروق، 1415هـ/ 1995م.
- **معجم ألفاظ القرآن الكريم،** مجمع اللغة العربية، القاهرة، بدون ط و ت.
- منصور زويد المطيري، **الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ـ الدواعي والإمكان،** سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، ط1، 1413هـ.
- هناء يحيى أبو شهبة (الدكتورة): **الإسلام وتأصيل علم النفس،** دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1428هـ/ 2007م.